

محمد كريم

د: أحمس حسن صبحي

دار الكتب العلمية
للنشر والتوزيع
القــاهرة

1

شهيد الإسكندرية

(محمد كريم)

د. أحمد حسن صبحي

صبحي، أحمد حسن
شهيد الإسكندرية محمد كريم/ أحمد حسن صبحي. طـ١- القاهرة
دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
٥٦ ص، ١٤× ٢٠ سم
تدمـــــك: ٦- ٩٦٣-٢٨٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- مصر - تاريخ الحملة الفرنسية (١٧٩٨ -١٨٠١م)
١- كريم، محمد، ... ١٧٩٨
أ. العنوان: شهيد الإسكندرية - محمد كريم
رقم الإيـــداع ١١٤٠٩ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي 6 -963 -287 -977 -978
٩٦٢,٠٢

© حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار الكتب العلمية للنشر والتوزيع - ٢٠١٠.
لا يجوز نشر جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو اختصاره بقصد الطباعة أو اختزال مادته العلمية أو نقله بأي طريقه سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدمًا.

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع
٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين - القاهرة
☎ ٢٧٩٤٨٦١٩ - ٢٧٩٥٤٢٢٩
فاكس: ٢٧٩٢٨٩٨٠

لمزيد من المعلومات يرجى زيارة موقعنا على الإنترنت

www.sbhegypt.org
info@sbhegypt.org
sbh@link.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لكل عصر من عصور مصر، يُقدم رجال هذا البلد أرواحهم رخيصة من أجل ترابها.

من كل قرية.. من كل نجع من نجوع هذا البلد العظيم سقط شهيد مصرى يروى بدمائه أرضها الطيبة، فيخرج منها نبت جديد مُشبع بروح الفداء والتضحية. تجرى فى عروقه دماء شهيد سقط من أجل مصر.

ذلك هو السر وراء بطولات أبناء مصر على مدى الزمان. شهيد وراء شهيد وبطل من وراء بطل، يرفعون اسم مصر وعلمها خفّاقا.

إلى روح شهداء مصر فى كل عصر وما أكثرهم على مدى تاريخ بلدنا العظيم، أهدى هذا الكتاب الذى حاولت أن أبرز فيه جانبا من تاريخ محمد كريم شهيد الإسكندرية الذى أعدمه بونابرت ومثل بجثته، فى محاولة لإخماد روح الثورة فى نفوس شعب مصر العريق.

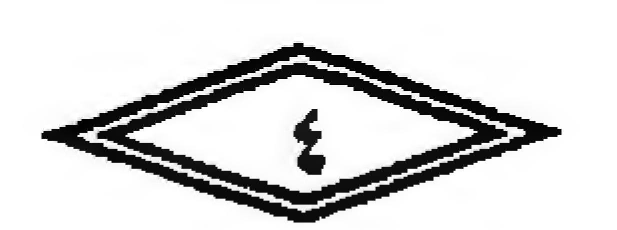
وكم كان عجيبا أن يستجيب بعض المثقفين فى مصر، لدعوة فرنسا فى عام ١٩٩٨ بالاحتفال بمرور قرنين من الزمان على بداية العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا،



وكأن دماء الآلاف من أبناء مصر الذين اغتالهم الفرنسيون عند غزوهم لمصر عام ١٧٩٨، هى التى روت تلك العلاقة الثقافية. إن من الأجدر لمصر أن تحتفل يوم ٦ سبتمبر بذكرى إعدام زعيم شعبى روى بدمه شجرة الحرية فى مصر.

رحم الله شهداء مصر منذ فجر التاريخ،

* * *



1

اصطحب مدرس التاريخ طلبة الفصل، لزيارة

اجد الإسكندرية. وقف المدرس أمام باب مسجد محمد كريم خاشعا، يشعر بأن الدمع يكاد ينزل من عينيه. احترم الطلبة صمت مدرسهم فالتقوا حوله، يتطلّعون إلى اللافتة المثبتة على مدخل المسجد، إلى حيث ينظر مدرسهم فقرأوا:

إكبارا للبطولة، وتكريما للذكرى واعتزازا بالوطنية وإنصافا للتاريخ رأت وزارة الأوقاف أن يطلق اسم السيد محمد كريم على هذا المسجد في حي رأس التين. والسيد محمد كريم هو حاكم الإسكندرية وابنها وشهيدها العظيم. واعتقله الجيش الفرنيسي وقتله رميا بالرصاص في مدينة القاهرة بجوار القلعة يوم ٦ سبتمبر عام ١٧٩٨ وهو يدافع عن أمته ويذود دنس الاحتلال عن شرق وطنه العزيز"

ران الصمت على الواقفين، وقد بدأ كل شاب ينفعل بما يقرأه. لطالما مرّوا بالمسجد، ومنهم من دخله فصليّ به، لا يلقي بالا لما كتب على مدخل المسجد.

بدأ بعض الطلبة يلومون أنفسهم علي عدم مبالاتهم في معرفة بطولة ذلك الرجل وتاريخه. ماذا فعل؟ ولماذا قتله الفرنسيون؟.قال أحدهم لمدرسهم:

- أريد أن أعرف قصة هذا البطل يا استاذي.

فرد الأستاذ قائلا:

- ألم تسمع عن السيد محمد كريم يا بُنيّ؟

قال الطالب:

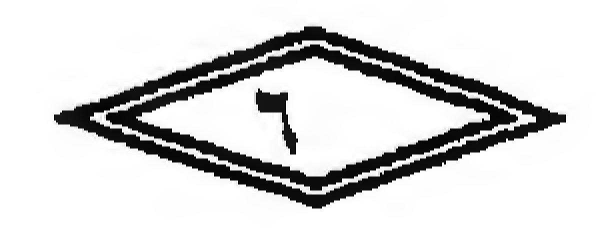
- سمعت عنه بالطبع يا أستاذي. لكنني لا أعلم عن بطولته الكثير. أعرف أنه ثار على الفرنسيون عندما احتل نابليون الإسكندرية.

قال الأستاذ يخاطب المجموعة:

- هل منكم من يعرف المزيد عن السيد محمد كريم؟

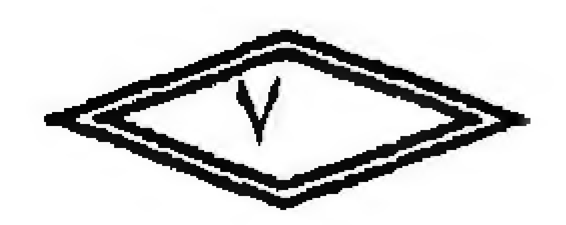
ران الصمت علي الواقفين. فابتسم الأستاذ وقال لهم:

- تعالوا إذن. فلنجلس في حديثة المسجد لأروي لكم تاريخ شهيد الإسكندرية السيد محمد كريم.



سارع الطلبة، فتحلقوا حول مدرسهم في حديثة المسجد، وأبصارهم شاخصة ناحيته، ينتظرون حديثه وقد سرت فيهم الحميّة، تُشعل الإحساس بالوطنية وحب مصر.

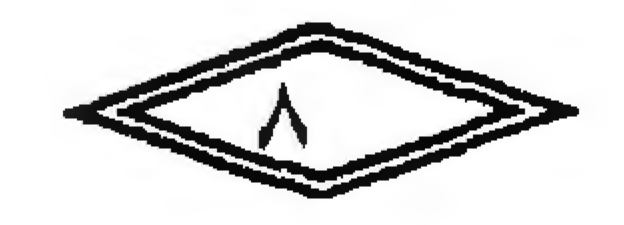
* * *



2

عاشت مصر خلال القرن الثامن عشر الميلادي فترة مريرة من تاريخها. فهي من الناحية الشكلية تابعة للإمبراطورية العثمانية التي تعين لمصر واليا تركيا يفرض عليهم ما يشاء من الضرائب، ويحكم بالموت علي من يريد من أبناء مصر. كانت الوسيلة الوحيدة لبقاء الوالي في منصبه ليجمع ثروة كبيرة خلال مدة حكمه، هو إرسال الأموال والهدايا إلى السلطان العثماني، تلك الأموال التي يأخذها غصبا من أبناء هذا البلد الكريم، الذين أصبحوا لا يملكون سوي الدعاء لله أن يرحمهم من جبروت الحاكم الغاضب وظلمه.

وعانت مصر وأبناؤها في تلك العهود من ظلم المماليك الذين أصبقوا علي أنفسهم. لكل مملوك جيش، يتولي تحصيل الضرائب من الأهالي بكل الطرق والوسائل، يقدم جزء منها إلى الوالي التركي ويحتفظ هو بالجزء الأكبر مما يجبيه من الأموال، غصبا وقهرا. عاش المصريون

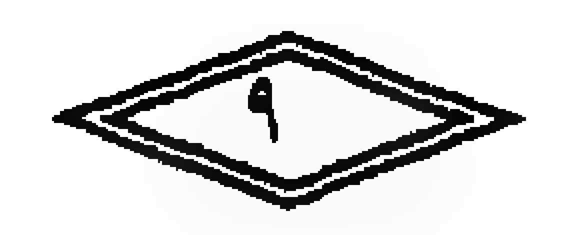


عبيدا فوق أرضهم. كلما ثاروا على ظلم المماليك، قتلهم الجنود وأحرقوا قراهم وبيوتهم.

جاء المماليك إلى مصر كعبيد. تم شراؤهم من بلاد أواسط آسيا بواسطة الحكام العثمانيون، فكونوا منهم جنودا يدنيون بالطاعة لسادتهم الأتراك، وكل من يبزغ نجمه منهم ويشتهر بقوته وقسوته، يصبح حرّا، وينعم عليه الوالى بمنطقة من مصر ليحكمها باسم الوالى ويتصرف فى أمورها شريطة ان يدفع المملوك لسيده الوالى مبلغا معينا من المال يأخذه غصبا من المصرين الفقراء.

استطاع اثنان من المماليك، مراد بك وإبراهيم بك، أن يكوّن كل منهما جيشا كبيرا من المماليك. اقتسما السيطرة على أقاليم مصر. لكل منهما مناطق نفوذ يحكم فيها كيف يشاء، لكنهما أصبحا مصريان. شربا من نيلها، وسرت فى دمائهما خيرات أرض مصر.

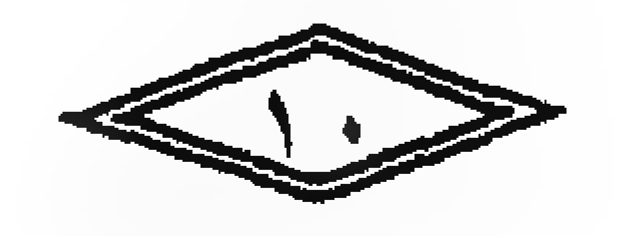
عانت مصر خلال تلك الفترة من القرن الثامن عشر أيضا من تغلغل النفوذ الأوروبى فى مصر، يستعين ذلك النفوذ باليهود الذين عاشوا على أرض مصر يسلبون ثرواتها، فى زيادة نفوذهم. كان الإنجليز الموجودين فى مصر يُشرفون على التجارة التى تأتى من الهند فى طريقها إلى أوروبا، وتلك التى تعبر مصر من السودان وأفريقيا فى طريقها إلى أوروبا.



وطدّ الانجليز صلاتهم بالمملوكين الظالمين مراد بك وإبراهيم بك، وجعلاهما يضطهدان الفرنسيين الموجودين فى مصر. كان العداء بين انجلترا وفرنسا فى تلك الفترة عداء شديدا، والحروب بينهما لا تنتهى، كل منهما يحاول امتلاك المزيد من المستعمرات فى أفريقيا وآسيا.

كانت القوة والسلاح هى الوسيلة الوحيدة لامتلاك الأقاليم الأفريقية والأسيوية بهدف الحصول على ثرواتها وأخذ العبيد منها وإرسالهم إلى مستعمرات الدولتين فى القارتين الأمريكيتين للعمل عبيدا يباعوا إلى ملاك الأراضى الجديدة. يزرعون ويحصدون مقابل طعامهم، والثروات تصدر إلى أوروبا وتعود أرباحا لجيوب المستعمرين الإنجليز والفرنسيين ليبنوا الأساطيل والسلاح ويستعمرون المزيد من أراضى دول الدنيا. لا يشبعون من امتلاك الأرض وما فوقها من بشر.

رأت فرنسا أن احتلال أرض مصر يحقق لها نصرا هاما على أعدائهم الانجليز، فمصر هى ملتقى تجارة قارات ثلاث: أفريقيا وآسيا وأوروبا كان فكر فرنسا معلقا بإنشاء قناة تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط لكى تحوّل تجارة أوروبا عن طريقها بدلا من استخدام طريق رأس الرجاء الصالح الذى تسيطر عليه انجلترا. وعاشت أحلام فرنسا أيضا فى غزو مصر من أجل إعادة زراعة أرضها الخصبة بالغلال وتصديرها إلى فرنسا.

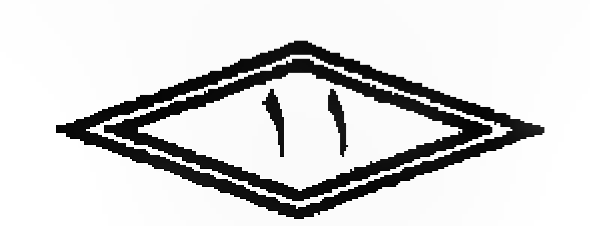


كان نابليون بونابرت في ذلك الوقت هو القائد الفرنسى الذى غزا الأراضى الأوروبية واحدة بعد الأخرى، يخضعها للنفوذ الفرنسي، وذاع صيته بين شعوب العالم كالقائد الذى لم يهزم فى معركة من المعارك. كان حلم نابليون أن ينشئ إمبراطورية كبرى فى الشرق قاعدتها مصر وتمتد ذراعها إلى الشام وفلسطين، فسعى إلى الإعداد لتلك الحملة العسكرية لتحقيق أحلامه.

اتبع نابليون كقائد عسكرى محنك، أسلوب المراوغة مع عدوته انجلترا. تكتم أنباء الحملة تماما، وأذاع أن الجيش الفرنسى سوف يغزو الجزر البريطانية. وابتلعت انجلترا الطعم الذى رماه لهم نابليون فاهتموا بتحصين بلادهم وحشد أساطيلهم البحرية حولها استعداد للهجوم الفرنسى.

وفى ذلك الوقت كان نابليون يجهّز لحملته على مصر من موانئ البحر المتوسط فى تكتم شديد، وكان قادة جيشه تحت وهم أنهم يستعدون لحرب الإنجليز. وعلى الرغم من اهتمام انجلترا بتحصين بلادها، كلفت اسطولا يقوده الأميرال "نلسون" بأن يبقى فى البحر المتوسط لملاحظة وتعقب السفن الفرنسية فيه وضربها قبل الوصول إلى الشواطئ الانجليزية.

جهّز نابليون ٥٥ سفينة منها ٢٥ بارجة، أكبرها هى سفينة القيادة التى أسماها "الشرق"، تحمل فوقها ٣٦ ألف جندى فرنسى و١٤٦ عالما وأديبا ومهندسا ورساما ومطابع فرنسية

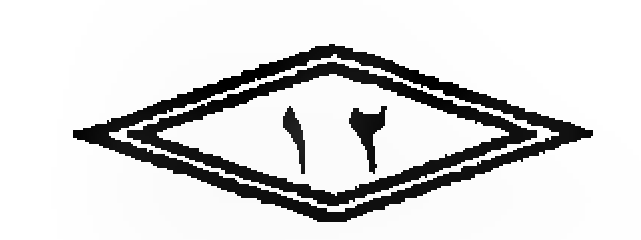


وعربية ويونانية، وآلات علمية من مناظير ومعامل وأدوية وعقاقير. كل ما فكر فيه نابليون لكى يوفر له قاعدة إنشاء إمبراطورية الشرق، حلمه الأكبر الذى حطمه شعب مصر فوق أرضه التى ارتوت بعرق ودم ابنائها على مرّ العصور.

أبحر أسطول نابليون من ميناء طولسون على البحر المتوسط يوم ١٠ مايو عام ١٧٩٨، ولم يتجه إلى مصر، بل حاصر جزيرة مالطة واستولى عليها لتصبح قاعدة فرنسية يستطيع أن يضرب الانجليز منها. وتمكن نابليون من تجنيد ألفين من رجال مالطة، شكل منهم الكتيبة المالطية، واصطحبهم معه لغزو مصر.

وصلت سفن نابليون بونابرت إلى الإسكندرية يوم أول يوليه ١٧٩٨ الموافق ١٧ من المحرم سنة ١٢١٣ هجرية ووقفت قبالة شواطئها. ونزل الجنود الفرنسيس إلى شواطئ الإسكندرية من ناحية العجمى فى اليوم الثانى من يولية وبدأوا الزحف تجاهها، ومحاصرة المدينة من ثلاث جهات.

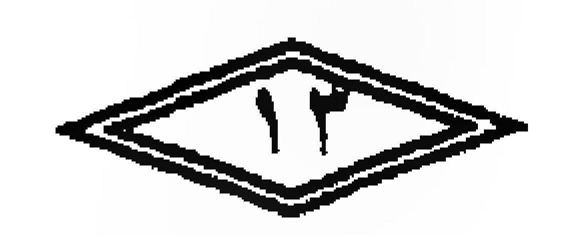
* * *





عندما نزل نابليون وجنوده إلى شواطئ الإسكندرية، كانت المدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن ثمانية ألاف نسمة، بيوتها أشبة بمباني القرى، ذات شوارع ضيقة كثيرة التعاريج، يطبق الفقر عليها من كل ناحية بعد أن فقدت الإسكندرية مركزها التجارى الهام، بتحول طرق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح. هجرها أهلها متجهين إلى القاهرة والمدن الأخرى بحثا عن العمل والرزق.

كانت مدينة الإسكندرية فى تلك الفترة تنحصر فى شبة الجزيرة التى بين الميناء الشرقية (مرسى السلسة) والميناء الغربية المعروفة بالميناء القديمة. كانت الميناء الشرقية التى تشرف عليها قلعة قايتباى. وعلى شاطئ هذه الميناء، كان يوجد الجمرك ودور القناصل الأجانب. وكانت الميناء الغربية إلى الغرب بين شبة جزيرة رأس التين والبر، وتوجد بها الترسانة ومخازن البحرية، وفى النهاية القصوى للشاطئ خارج المدينة يوجد اللسان المعروف بجهة العجمى وأمام ذلك اللسان، كانت هناك جزيرة

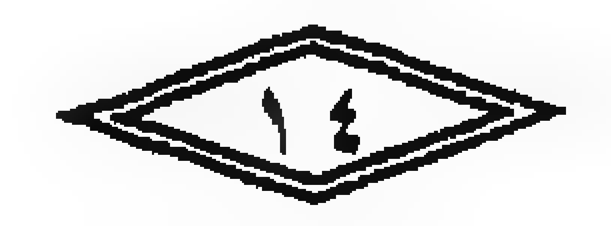


العجمى التى بنى فوقها برج به بعض المدافع لحماية المدينة.

انحصرت حدود الإسكندرية بين الميناءين، وينتهى العمران بها فى مقابلة شبة جزيرة رأس التين. كانت جميع الجهات الواقعة بين البحر إلى جامع أبى العباس، بعضها مدافن وبعضها مساكن فقيرة للصيادين، وكان للمدينة سور طوله الدائرى ٧٨٩٣ مترا يتخلله مائة برج. بنى ذلك السور فى عهد أحمد بن طولون، وجدّده صلاح الدين الأيوبى ثم السلطان بيبرس من بعده، وأسماه الأوروبيون سور العرب. وفى عهد المماليك، وبعد تقلص العمران فى الإسكندرية، صار سور الإسكندرية يبتعد عن المدينة بمسافات كبيرة ليس فيها سوى فضاء عظيم من الخرائب الخالية من السكان والبيوت. واستولى البكوات على تلك المساحات وبنوا فيها قصورا محاطة بالبساتين، وكفورا صغيرة يعيش فيها خدمهم.

ورث الفتى محمد كريم عن ابيه مهنة القبّانى، الذى يقوم بوزن الأقطان وغيرها، فى للجمرك بالإسكندرية. نشأ فى أسرة مصرية كريمة، اشتهرت بالورع والتقوى والأمانة، واكتسب الفتى من أبيه تلك الخصال الطيبة وأصبح بعد وفاته هو القبّانى الأول فى جمرك الإسكندرية.

عُرف السيد محمد كريم بحّسن معاشرته للناس عند تعاملهم معه، فأحبه الجميع، واشتهر ذكره فى ثغر



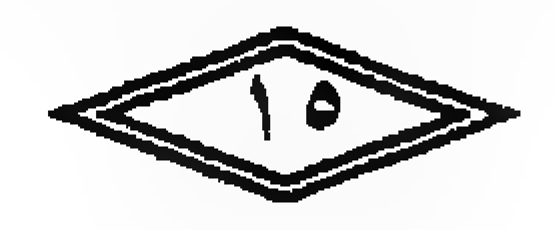
الإسكندرية ورشيد، وبلغ صيته القاهرة أيضا. كل من يتعامل معه، يجد فيه المودة وكرم الضيافة وحرصه على أداء العمل بأمانة وإخلاص، فيُذكر اسمه فى كل مجلس.

كان مراد بك، هو المملوك الذى يتولى أمور الإسكندرية ورشيد والبحيرة وحتى الجيزة،فعرف فضل محمد كريم وحب الناس له، فعينه آمرا للديوان والجمارك بالثغر. وقام محمد كريم بعمله الجديد على أكمل وجه فنظم أعمال الجمارك وأفشى العدل والأمانة وحسن المعاملة، فازداد حب الناس لذلك الرجل، وتقديرهم لأمانته وإخلاصه.

ومع مرور الأيام، أصبح محمد كريم مديرا الجمارك بالثغر وحاكما لمدينة الإسكندرية. لم تتغيّر طبائعه ولا حسن معاملته للناس. لم يتعال خلال فترة حكمه للمدينة، بل ظل فى تواضعه وتودّده للناس ومساعدتهم، ومثالا للشرف والأمانة والوطنية.

عندما رست العمارة الفرنسية المكونة من السفن الخمس والخمسين فى مالطة، عرف كل من كان بالجزيرة أن وجهة الحملة الفرنسية هى مصر، فقام بعض قباطين السفن بنقل تلك المعلومات إلى الإسكندرية، وتسرّبت أنباء الحملة الفرنسية التى حاول نابليون إخفاء وجهتها عن كل العيون إلى أهل المدينة.

عم السخط والهياج أهل الإسكندرية عند سماعهم لتلك الأنباء وبدأوا الاستعداد للمقاومة. وبينما كان الناس

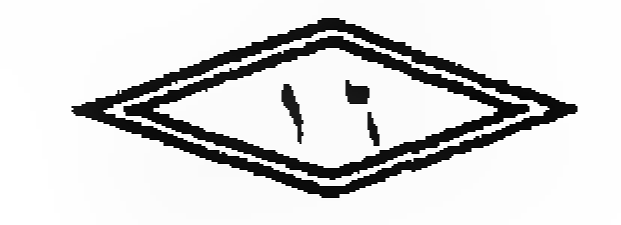


يستعدون للقتال، وصلت سفن الأسطول الإنجليزى بقيادة نلسن إلى الإسكندرية يوم ٢٨ يونيه ١٧٩٨ للبحث عن أسطول نابليون. أرسل نلسن إلى حاكم الإسكندرية محمد كريم ينبهه إلى احتمال حضور العمارة الفرنسية إلى الثغر، وطلب منه السماح بدخول أسطوله الانجليزى إلى الميناء للتزود بالماء والطعام. رفض محمد كريم طلب الإنجليز لشكه فى مقصد "الفرنجة" عامة، وهو اللفظ الذى يطلق على كل الأوروبين فى ذلك الحين، فغادر نلسن وأسطوله الاسكندرية فى اليوم التالى، بينما كان نابليون وجنده فى طريقهم إلى مصر.

انفجر بركان الغضب بين أهل الإسكندرية، واستعدوا للمقاومة رغم حالة الرعب التى تولتهم، حينما نظروا إلى البحر فوجدوه مغطى بالسفن. سارع السيد محمد كريم بإرسال ثلاثة عشر رسولا إلى مراد بك، يطلب منه النجدة لصدّ هذا الغزو، لكن النجدة لم تصله أبدا.

جرى الناس إلى السيد محمد كريم حاكم المدينة فى مكتبه بالجمرك، وساد الهرج والمرج وعّمت الفوضى المدينة بعد سماع الأنباء باعتزام الفرنسيين النزول ببر الإسكندرية.

وقف محمد كريم ليتحدث إلى المتجمهرين، هيبته وحب الناس له كانا كفيلين بأن يسكت الصياح، وساد المكان على اتساعه هدوء وسكينه، وهم يرون كبيرهم بوجهه السمح



ينظر إليهم. قال لهم:

- لا إله إلا الله محمد رسول الله. يا قوم. لقد اعتدنا المحن منذ زمن بعيد، وكان الله سبحانه وتعالى ينصرنا دائما على الظالم.

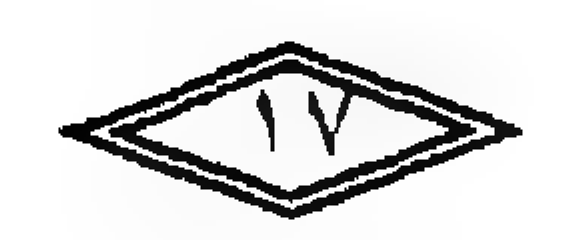
تعالت هتافات الناس تكبّر وتهلل، وتهتف بالقتال والشهادة فى سبيل الله والوطن.

رفع محمد كريم يمناه للناس. فكفوا عن الصياح. قال:

- سوف نقوم بإذن الله بالاستعداد للقاء الغزاة ومحاربتهم الله ينصرنا بإذن الله ويثبت أقدامنا. أرجو أن تنصرفوا الآن إلى أعمالكم وسوف أتدبّر الأمر مع رؤساء طوائفكم. النصر لنا بإذن الله.

لم يرد الناس طلبا لمحمد كريم، فبدأوا فى الانصراف، تاركين رؤساء طوائفهم ينتظرون مشورة كبير الإسكندرية وحاكمها. دعاهم محمد كريم للجلوس حوله، يشرح لهم أن عليهم مقاتلة الغزاة حتى النصر أو الشهادة. قال يخاطب كاشف البحيرة وكبير القبائل المحيطة بالإسكندرية:

- ياكاشف. اذهب الآن وأمر فرسانك بالاستعداد للهجوم على الفرنسيس من جهة العجمي ومن الغرب. لا تضيّع الوقت حفظك الله. عليك أن تخبرنى أولا بأول بكل معلومات تصلك عن الفرنسيس. فأنتم فى المقدمة.



فقام كبير العربان وركب حصانه وهو يقول لمحمد كريم:

- سيصلك رسول منا يحمل لكم الأخبار أول بأول. وسوف يبقى معك هنا خمسة من رجالى لكى ترسل لى بأوامرك أولا بأول.

وأشار كبير العرب إلى خمسة من رجاله للبقاء مع السيد محمد كريم وإطاعته في كل ما يطلبه وتنفيذ ما يأمر به دون تردد.

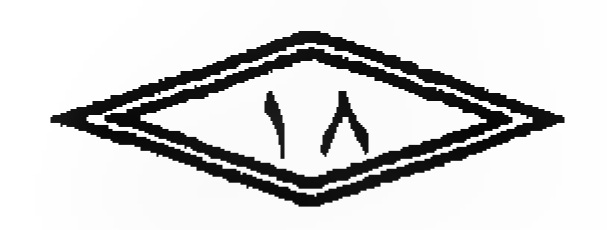
طلب محمد كريم من رئيس الجند أن يأمر رجاله بنقل الذخائر إلى قلعة قايتباى وأن يقوموا بتجهيز مدافعها للعمل. قال له:

- لم تعمل تلك المدافع منذ فترة طويلة. مُرهُم بإعدادها وتنظيفها.

واستطرد قائلا:

- سوف أبقى أنا والجنود فى القلعة. إننى أتخذها مقرا لقيادة الدفاع عن الإسكندرية.

وقام السيد محمد كريم بتوزيع المهام على رؤساء الطوائف. طلب من الحدادين إعداد الرماح والسيوف، وطلب من كبير التجار إعداد المؤن وإرسال جزء منها إلى قلعة قايتباى. سأل رئيس البنائين أن يأخذ رجاله بأسلحتهم ومعداتهم إلى سور الإسكندرية، يرممون الأجزاء المكشوفة



منه، ثم يتولون الدفاع عنه. أوكل إلى كل رئيس طائفة مسئولية الدفاع عن منطقة.

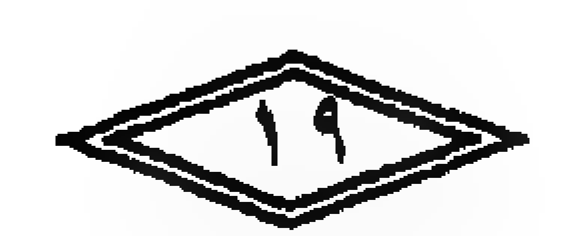
عندما انتهى محمد كريم من حديثه مع رؤساء الطوائف والحرف، قال لهم:

- إننا نستعين بالله العظيم فى الدفاع عن أراضينا.وكلنا يعلم أن بالإسكندرية عيون وجواسيس للفرنجه من كل مكان. لا تتكلموا كثيرا. كل واحد منكم يأمر رجال طائفته بأن يتبعوه ثم يأمرهم بالعمل فى صمت وسرّية وليسدد الله خطانا أجمعين.

شحن الجند القلاع بالذخيرة والطعام والماء، وركبوا المدافع العتيقة التى كانت فى حوزتهم فوق القلاع والأسوار استعدادا للكفاح ضد الغزاة.

طلب محمد كريم من العرب المقيمين حول الإسكندرية تجهيز الفرسان لمناوشة الفرنسيين قبل وصول قواتهم إلى أسوار المدينة، لكن مناوشة فرسان العرب لم تسفر إلا عن سقوط الكثير منهم قتلى بالقنابل التى صبتها مدافع الفرنسيين عليهم، ففرّ العربان جنوبا وواصل الفرنسيس زحفهم تجاه الإسكندرية.

قام الأهالى فى سرعة بترميم الثغرات التى ملأت سور الإسكندرية المهمل منذ عشرات السنين. ووقف رجال الإسكندرية ونساؤها وأطفالها فوق الأسوار، يدافعون عن

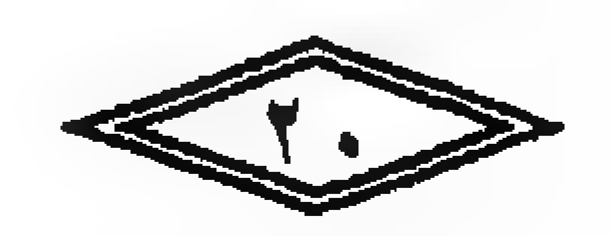


بلدهم بالبنادق العتيقة والرماح والحجارة، غير مبالين بما يروه من قوة الفرنسيين وآلات حربهم الحديثة.

هجم الفرنسيس على سور الإسكندرية من ثلاث جهات وقوبلوا بمقاومة مستميتة من أهل المدينة الباسلة، حتى استطاع الفرنسيس اقتحام الأسوار والوصول إلى المدينة فقوبلوا بمقاومة الأهالى من الحارات والبيوت، وفاضت بحار الدم فى شوارع الإسكندرية الضيقة نتيجة العنف والقسوة التى مارسها جنود فرنسا ضد شعب الإسكندرية.

سقط نحو ثمانمائة شهيد من أهل الإسكندرية فى تلك المذبحة بعد أن قتلوا أربعين من الفرنسيين وجرحوا نحو مائة منهم.وأصيب الجنرال كليبر بعيار نـــارى فى جبهته جرحه جرحا بليغا، وأصيب الجنرال مينو بضربة حجر أصابه برضوض شديدة وقتل اللواء ماس وخمسة ضباط آخرين من الفرنسيين.

عندما اشتدت المذابح فى شوارع الإسكندرية وقام الجنود الفرنسيين بدخول بيوت الناس وقتلهم، قام نابليون باستدعاء ادريس بك، قومندان السفينة العثمانية الراسية بالميناء، والتى ترمز إلى الهيمنة العثمانية على أرض مصر، وطلب إليه أن يقنع أهل المدينة بالكف عن القتال وأن نابليون ما جاء إلى مصر إلا لمحاربة المماليك الظالمين. كان ادريس بك والجنود العثمانيون فى سفينته يشاهدون المذابح التى تجرى ضد المصريين فى

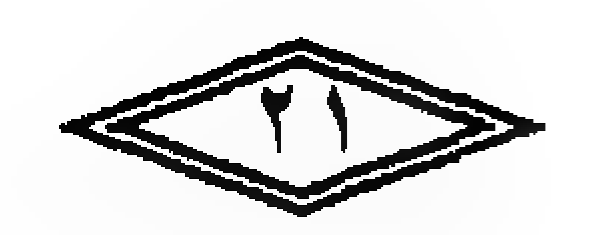


الإسكندرية دون أن يتحركوا أو يساعدوا أهل مصر الذين تحصدهم المدافع والبنادق الفرنسية.

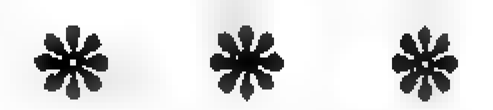
كفّ الأهالى عن القتال، وهم يرون ان المقاومة لن تؤدى إلا إلى زيادة القتلى بينهم، مقارنين بين تسليحهم البدائى وما يحمله الفرنسيون الغزاة من آلات النار والبارود، التى تحصد الأرواح حصدا.

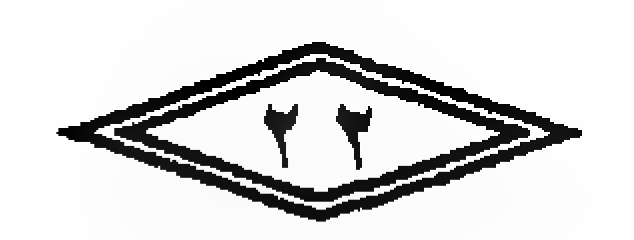
لم يذعن محمد كريم ومن معه من الرجال المعتصمين فى قلعة قايتباى، لطلب الكف عن القتال، بل ظل ومن معه يرمون الفرنسيين بالقنابل والرصاص على مدى ثلاثة أيام بلا كلل أو تعب. يقاومون ويضربون الغزاة الذين لم يستطيعوا اقتحام القلعة مكتفين بحصارها من بعيد، أمام استبسال محمد كريم ورجالة.

نفذت الذخائر من رجال محمد كريم، ونال منهم التعب والإنهاك مداه وعلم محمد كريم أن نحو عشر أهالى الإسكندرية قد استشهدوا خلال المذابح التى قام بها الغزاة الفرنسيين، فرأى محمد كريم أن المقاومة أصبحت نوعا من العبث الذى لا يجدى، فكف عن القتال، وقام بتسليم القلعة إلى القائد الفرنسي. تلقاه نابليون لقاء كريما وأبقاه حاكما للإسكندرية فذلك الفرنسى الخبيث، أدرك مدى المكانة التى يتمتع بها محمد كريم وسط أهل المدينة، فأراد أن يكتسب ذلك الوطنى إلى صفه يظن فى أهل مصر أنه من السهل، شراءهم واستمالتهم لجنب الغزى.



قرر نابليون بونابرت الزحف إلى القاهرة عاصمة مصر المحروسة. فغادر الإسكندرية على رأس جيشه يوم ٧ يوليه ١٧٩٨ وقام بتعيين الجنرال كليبر حاكما عاما للإسكندرية. بذل الجنرال كليبر كل ما فى جعبته لتوطيد مركز الفرنسيين فى المدينة على الرغم من صعوبة ذلك، إذ كانت المدينة محاصرة من البحر بالسفن الفرنسية التى أوقفت حركة السفن فتعطلت التجارة التى كانت تعتبر أكبر مورد لثروة الأهالى، فضرب الكساد المدينة واشتد الفقر والضيق بالأهالى فازداد تذمرهم وسخطهم من الإحتلال الفرنسى.

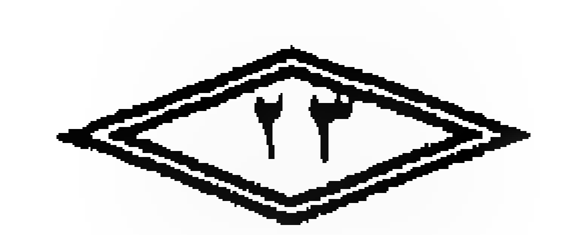






أدرك السيد محمد كريم بحنكته ان المقاومة العسكرية المباشرة سوف تنتهى بالمزيد من الشهداء، فقرر فى سريرته أن الطريقة المثلى لمقاومة الغزاة هى إحالة حياتهم على أرض مصر إلى جحيم بكل الطرق والوسائل الممكنة. بعث السيد محمد كريم منذ وصول العمارة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية برسائل متتالية إلى مراد بك فى القاهرة، يخبره فيها بالحالة التى يعانى منها أهل الإسكندرية ويطالبه بإرسال النجدات له من الجند والعتاد، يخطره بالقوة الكبيرة التى جاء بها الفرنسيس لغزو مصر، وأن كل أهل الإسكندرية رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا لا يعادل سوى ربع عدد العسكر الفرنسيين.

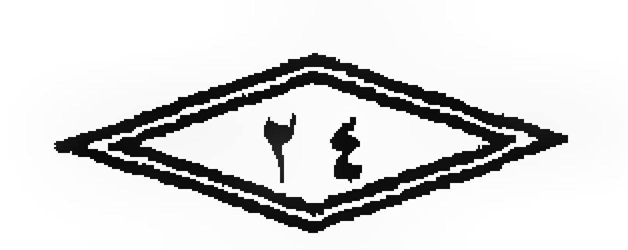
سلمت الإسكندرية إلى الفرنسيس يوم الخامس من يوليه، وكان انتهاء المقاومة، هو تسليم السيد محمد كريم قلعة قيتباى لنابليون. واختار الفرنسى الغازى السيد محمد كريم ليستمر حاكما للمدينة، ليكون حلقة الاتصال بين الفرنسيس وأهل الإسكندرية.



لم يتردد محمد كريم فى قبول المنصب وهو يبدى سعادته الظاهرة والباطنة. فهو يستطيع من مكانه أن يتصل بكافة الطوائف والناس دون ان يخشى مراقبة الفرنسيس. كان ذلك هو ما يريده ذلك الرجل ليستطيع ان ينظم المقاومة ضد الغزاة، فيستطيع ان يعرف قدرا من تحركاتهم وخططهم، فيقابلها بخطط مضادة ومقاومة شعبية تحيل حياة الفرنسيس على أرض الكنانة إلى جحيم مستعر.

أما سعادة محمد كريم الظاهرة فكانت إفهام الفرنسيس مدى امتنانه لهم على إبقائه فى منصبه، وابتلع نابليون الطعم، متصورا أن السماحة التى وهبها الله لمحمد كريم وانعكست على وجهه، تعنى ضمان نابليون لسيطرته على زعيم الإسكندرية ووضعه فى خدمة الفرنسيس، وهو ما يعنى السيطرة على الشعب الثائر الذى يسعى للانتقام لقتلاه. لم يخل بيت فى الإسكندرية من قتيل أو جريح نال نصيبه من نار الغازى الفرنسى، أو من طعنه سونكى مصنوع فى فرنسا لكى يخترق صدر مصرى على أرض الإسكندرية.

تولى الجنرال كليبر قيادة الفرنسيس فى الإسكندرية بعد رحيل نابليون بجيشه فى طريقه لاحتلال القاهرة. وحدث أن وجد الأهالى جثة مصرى غارقة وكان قد أخذ ليخدم ضابطا فرنسيا، فثاروا وهتفوا بسقوط الفرنسيين.



وفى نفس اليوم عُثر على جثة جندى فرنسى فى الطريق. قتله المصريون انتقاما لمقتل الخادم المصرى.

اعتقل كليبر عددا من أعيان المدينة وهدد السيد محمد كريم بأنه سوف يقتل الرهائن إذا لم يتم تسليم قاتل الجندى الفرنسى. واستطاع الفدائى المصرى أن يخرج سليما من الإسكندرية بمساعدة الوطنيين، فحوكم غيابيا وحكم عليه بالقصاص، وانتهت الأزمة التى هددت بقتل عدد من أعيان الإسكندرية بفضل حنكة السيد محمد كريم.

وأمر كليبر كتيبة فرنسية تحت إمرة الجنرال "ديموى" بالتحرك إلى دمنهور ثم رشيد فأبو قير لـتأمين مواصلات الجيش الفرنسى. بحث الفرنسيون فى الإسكندرية كلها عن بعض الجمال لشرائها لتحمل لهم الزاد والماء فلم يجدوا فى الإسكندرية ولا بعير واحد. خرج أصحاب الجمال كلهم إلى الصحراء، ثم عادوا إلى المدينة بعد مغادرة الكتيبة للإسكندرية.

تحركت الكتيبة الفرنسية إلى دمنهور، وكلما مرت بقرية فى الطريق لم تجد بها شيئا. اختفى منها الناس والأنعام والماء والزاد. وعندما توغلت الكتيبة فى الصحراء، هجم عليها فرسان العرب يضربونهم ثم يفرون إلى الصحراء. وعندما وصلت الكتيبة إلى دمنهور، فوجئت بتجمع نحو ستة آلاف مصرى فى طرقات المدينة وفوق أسطح البيوت، مسلحين بالبنادق والهراوات، ودارت معارك بين

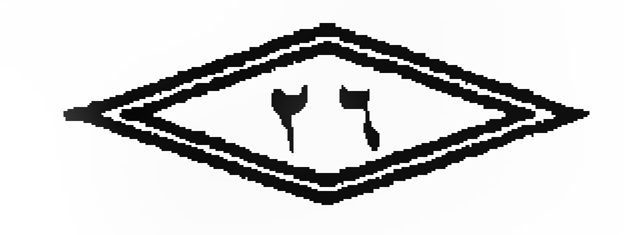


المصريين والفرنسيس، فانسحب الغزاة سريعا من دمنهور فهاجمهم العرب من كل جانب. لولا المدافع التى اصطحبها الفرنسيون معهم وكانت تحصد المهاجمين المصريين حصدا، لفنت القوة الغازية عن آخرها، لكنه لم يقتل منهم سوى ثلاثين فرنسى فقط.

عندما عادت كتيبة الجنرال "ديموى" إلى الإسكندرية بعد فشلها فى مهمتها، تشجّع الأهالى فهاجموا المخافر العسكرية الفرنسية المقامة فوق أسوار الإسكندرية وقتلوا الكثير من جنود العدو.

لم يتأخر مراد بك عن تجريد جيش مكون من ١٢ ألف جندي، ثلاثة آلاف من المماليك الفرسان، والباقى من الفلاحين مسلحين بالبنادق والعصىّ. وصل ذلك الجيش إلى شبرا خيت بقرب دمنهور، وفى النيل عدة سفن حربية تساند بمدفعيتها جنود مصر.

جاءت سفن الفرنسيين فى النيل من رشيد، ونابليون وجنده على البر والتحم الجيشان. استطاع بحارة أسطول مصر إغراق خمسة مراكب فرنسية فى أول تبادل للقصف بين الأسطولين.كان الفلاحون على الشاطئين، يقذفون السفن الفرنسية بالحجارة ويضربون البحارة بالرصاص وأصبح موقف الأسطول الفرنسى حرجا للغاية.وجاءت الطامة الكبرى عندما سقطت قنبلة فرنسية فى وسط مركب القيادة المصرية التى تحمل ذخائر ومؤن



جيش مراد بك فانفجرت السفينة ومعها باقى السفن التى تبحر حولها، واستشهد قائد البحرية المصرية خليل الكردلى.

رأى مراد بك ما حاق بجيشه من مصائب وأهوال سببت له الخسائر التى لم يتوقعها أبدا، ولم تدر بخياله عند تقدمه لمقابلة الفرنسيس ونجدة الإسكندرية. كانت مدافع نابليون تطلق الحمم على الفرسان المماليك بقوة وتركيز شديدين، أوقع الرعب فى صفوفهم وتحولت أجسادهم إلى أشلاء، وساد الهرج والمرج بين الجند المصريين الذين انهالت عليهم الحمم من كل جانب لا يعرفون كيف يتقون نارها المنصبة فوق رؤسهم.

قرر مراد بك الانسحاب بفلول جيشه عائدا إلى القاهرة ليعيد ترتيب صفوف قواته، وهو يدرك أن الفرنسيس عازمين على غزو القاهرة، أمر مراد بك جنوده الباقين بترك المدافع والأثقال والعودة سريعا إلى القاهرة.

عندما سار الجيش الفرنسى من شبرا خيت قاصدا القاهرة، لم يلق الجيش الفرنسى فى طريقه إلا بلادا خالية، هجرها أهلها قبل قدوم الجيش، خارجين بأهلهم وعيالهم ومواشيهم وحرقوا ما لم يستطيعوا أخذه، وتوغلوا فى الدلتا. وإلى جانب ذلك، فقد نظم العرب والأهالى نوعا من حرب العصابات، ينقضون على الجنود الذين يتخلفون عن الجيش إعياء وتعبا أو من الباحثين عن طعام، أو من

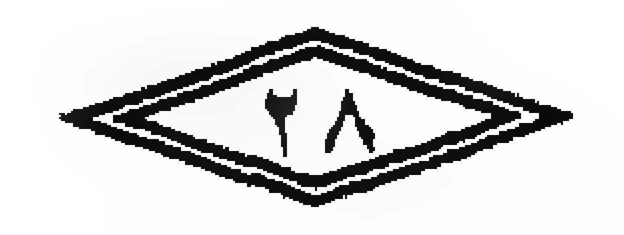
الرسل الذين يحملون التعليمات إلى القرى التى احتلها الفرنسيس.

عرف السيد محمد كريم بما حاق بجيش مراد بك، وأدرك أن الرجل لم يتأخر فى نجدته بالإسكندرية، لكن القوة الغاشمة للفرنسيس استطاعت هزيمة جيش مراد بك، وهو الذى عاين بنفسه مدى القسوة التى يتّصف بها الفرنسيس فى قتالهم للمصريين، فقد نزعت الرحمة من صدروهم. يقتلون بلا سبب، لا يفرّقون بين مقاتل أو شيخ قعيد، بين رجل أو امرأة أو طفل. يقتلون وهم يتلذّذون وكأنهم جاءوا مصر ليقتلوا أهلها وحسب.

قرر السيد محمد كريم، وقد تيقن أنه لن يحصل على أى مساعدة من مراد بك، أن يحيل حياة الفرنسيس بالإسكندرية إلى خوف وذعر دائمين، مما دعا الجنرال كليبر إلى إصدار أوامره المشددة لجنوده بتجنب الإحتكاك بالمسلمين والابتعاد عن بيوتهم وأماكن عبادتهم، وتهدد كليبر كل جندى يخالف تلك الأوامر بالإعدام.

كانت اللغة الفرنسية التى يتكلم بها الفرنسيون حائلا يقف بين محمد كريم ومعرفة ما يدور بينهم، وتفتق ذهن الرجل عن اختيار مصرى من البحاره الذين يعرفون اللغة، فاستدعاه وقال له:

- هل تؤمن بالله وبوطنك؟



قال الرجل:

- بالطبع يا سيدى. أنا فداء بلدى وفداك.

قال له محمد كريم:

- سوف أعينك حارسى الخاص. لا تفارقنى. سوف تكون أذنى التى أسمع بها ما يقوله الفرنسيس أعداء الله وأعداء المصريين. وتكون عينى التى ترى ما يفعلونه ثم تنقل إلى بعد انصرافنا ما سمعته. لا أريد أحدا منهم ملاحظة أنك تفهم ما يقولون. هل تفعل ذلك يا بنى لبلدك؟

قال الرجل وقد فاضت عيناه بالدمع:

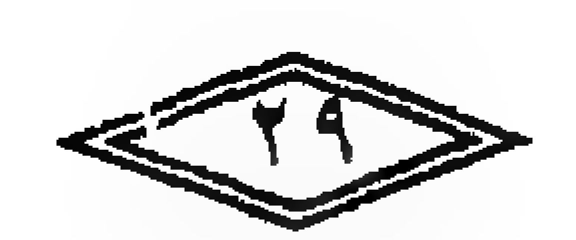
- أقسم لك بالله أن أفعل ما أمرتنى به وأن أموت فداء بلدى وفداء شيخنا محمد كريم.

ربت محمد كريم على كتف الرجل وقال له:

- لا نريد موتك يا بني. حفظك الله ورعاك. نريدث لمصر.

نادى محمد كريم على رئيس العسكر، وطلب منه إلباس الرجل سترة عسكرية، يخبره بأنه اختار ذلك الرجل كحارسه الخاص لا يفارقه.

جرت عادة محمد كريم منذ ذلك اليوم الذى تسلم فيه



كتاب بونابرت بتعيينه حاكما للإسكندرية، لأن يذهب كل صباح إلى مقر قيادة "كليبر" ليخبره عن أحوال الإسكندرية، ويتولى أحد الأروام ممّن هم فى خدمة الفرنسيس الترجمة بين الاثنين. كان محمد كريم لا يفتأ من الشكوى إلى الفرنسى المتعجرف، من ضيق المعايش بين الناس بسبب توقف التجارة مصدر رزق أهل البلدة وانقطاع وصول البضائع من السويس عن طريق القاهرة فى فرع رشيد والترع بالسفن لانقطاع المياه بتلك الترع وكثرة الإغارة على ما تحمله من بضائع.

كان هدف محمد كريم هو تخفيف الغرامات المالية التى فرضها الغازى الفرنسى على أهل الإسكندرية، وتمديد أجل تحصيلها. يشكو للقائد الفرنسى المغرور، أن الجنود الفرنسيين يمارسون أعمال السلب والنهب من البيوت والحوانيت، وان أصحاب التجارة يخشون فتح دكاكينهم خوفا من إغارة جنود الفرنسيس.

فيرغى الفرنسى ويزبد، ويقول المترجم لمحمد كريم فى لغة عربية ركيكة:

- إن القائد كليبر يصدر أوامره للضباط بمعاقبة كل جندى فرنسى يغتصب شيئا من المسلمين.

فيرفع محمد كريم كفيه يدعو للقائد الفرنسى ويتمتم فى سريرته:

- لعل الله برحمته يأخذك أنت وجنودك.

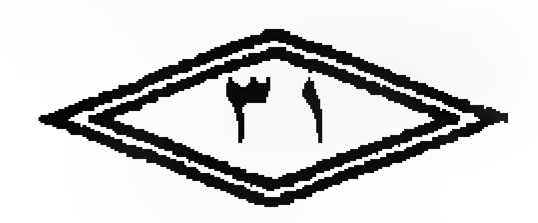
وينقل المترجم إلى كليبر أن كبير المصريين يدعو لرئيس عسكر الفرنسيس بالإسكندرية بحياة سعيدة وطول العمر، ويضحك وهو يخبر كليبر، بأن تلك هى عادة المسلمين، فتنفرج أسارير ذلك الفرنسى نشوة وسعادة.

يظل محمد كريم منزويا فى ركن من مكتب كليبر، وحارسه يسجل فى رأسه ما يسمعه من أحاديث بين القائد الفرنسي وضباطه، إلى أن يطلب كليبر من محمد كريم أن ينصرف إلى حاله، فيقوم وهو يحيّى بكلتا يديه الفرنسى المتكبّر، وحارسه يسارع فيفتح الباب لمحمد كريم ثم يمشى خلفه.

علم محمد كريم بأنباء تجريد الحملة على دمنهور واحتياجات الفرنسيس إلى الجمال، فطيّر الخبر إلى رئيس طائفة الجمالة فاختفت الإبل من الإسكندرية، وجرى أحد العربان بتعليمات محمد كريم إلى كاشف البحيرة شيخ العربان، للهجوم على الحملة وإخطار أهل القرى وأهل دمنهور للمقاومة.

وعلم محمد كريم بأن كليبر ينوى إرسال كتيبة إلى وسط الدلتا لاستكشاف بحيرة البرلس. كان خط سيرها ينتهى إلى دسوق ثم إلى بحيرة البرلس.

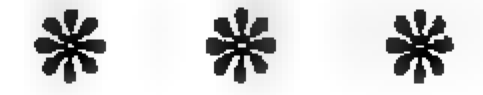
أرسل السيد محمد كريم رسولا إلى تلك المنطقة، يخبر شيوخها بما يخططه الفرنسيس ويطلب منهم إعاقتهم بحرمانهم من الزاد والماء ومقاومتهم. عندما وصلت

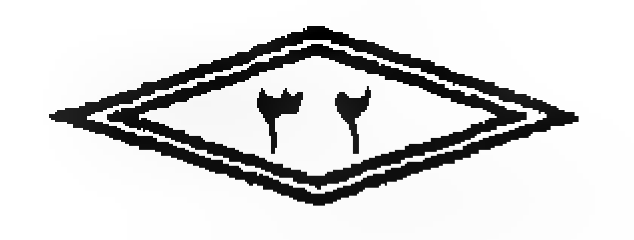


الكتيبة الفرنسية إلى قرية "شباس عمير" قرب دسوق، فوجئت بهجوم الأهالي عليها من كل جهة، ولم يكن الفرنسيين قد لاقوا أى نوع من المقاومة طوال رحلتهم فتعودوا عدم المبالاة، حتى فوجئوا بالمصريين من كل جانب. واضطر الفرنسيس إلى العودة إلى رشيد دون استكمال رحلتهم، بعد أن أضرموا النار فى القرية كلها.

وكانت رشيد هى معقل ثوار الإسكندرية وهم على اتصال يومى بالسيد محمد كريم الذى أخطرهم بأن الفرنسيين ينقلون بريدهم إلى القاهرة عبر النيل. وفى قرية "السالمية"، قام الفلاحون بمهاجمة الجنود المسافرين للقاهرة بالبريد فقتلوا منهم ثمانية، وكان من نتيجة الحادثة، أن حرق الفرنسيس القرية بأكملها وأعدموا تسعة من رجالها.

عمل محمد كريم بالاتفاق مع رؤساء الطوائف والحرف، على أن يقوم أبناء كل طائفة منهم بعمل مظاهرة تسير حتى الجمرك وتطالب بالعمل والخبز، فهو يدرك أن عيون الفرنسيس فى كل مكان ينقلون الأخبار إلى كليبر. ويسارع محمد كريم إلى القائد الفرنسى يشكو إليه فقر الناس وعوزهم، وأنه عمل على تهدئتهم. فى كل يوم تظاهرة، وفى كل يوم شكوى من محمد كريم، ليكون فى مكتب كليبر يسمع ويرى.





5

دخل الجنرال "ديموى" مساء يوم ٢٠ يوليه ١٧٩٨ فى ملابسه المتسخة فور عودته من حملته الفاشلة على دمنهور، إلى غرفة الجنرال كليبر الحاكم العام للاسكندرية، الذى طلب رؤيته فور عودته من مهمته. أجلسه وأمر له بالشراب، ينظر إليه وكأنه ينتظر منه تقريرا حول فشله فى مهمته.

قص الجنرال الفرنسى الذى فشل فى دخول مدينة دمنهور، مالقيه هو وكتيبته من الإسكنرية وحتى دمنهور من مقاومة عنيفة من جانب الأهالى والعرب على طول الطريق، يحكى له خلو القرى من أهلها ومواشيها وغذائها ومائها. قال فى عصبية مخاطبا كليبر:

- يا سيدى الجنرال. إننى على يقين أن هناك مخابرات سرية بين المصريين فى الإسكندرية وباقى المدن والقرى.

سأله كليبر عما يقصده فقال له:

- هل تذكر يا سيدى الجنرال أننا لم نجد بالإسكندرية جملا واحدا عندما بدأنا التحرك؟ كان هناك

اتفاق بين أصحاب الجمال على حرماننا من الإبل التى تـــحمل الماء والزاد.

أطرق كليبر قليلا ثم قال:

- نعم. ولقد عادت الجمال إلى الإسكندرية بعد رحـــيلك بيوم.

قال "ديموى" فى عصبية:

- كان العربان والمـــسلمون ينتظـــروننا فى كل مكان وكأنهم يعرفون خط سيرنا.

واستطرد يقول:

- عندما اقتربنا من دمنهور، كان أهلها فى انتـــظارنا بالبنادق والعصىّ. عرفوا بمـــقدمنا بلا شك.

قال كليبر:

- هذا احتمال كبير.

ورد الفرنسى يقول:

- وعندما اقتربنا من أسوار الإســكندرية بعد تقهـــقرنا هاجمنا العرب على حين غرة. كانوا يعرفون بموعد عودتنا أيضا.

هز كليبر رأسه وقال لزميله الفرنسى:



- نعم. إننى على يقين الآن بوجود من يبعث بأخبارنا إلى القرى والمدن ينبئهم بتحركاتنا. وينظم لهم المقاومة. ولكن دعنى أسألك: هل تظن أن هجوم الأهالى عليكم هو رد فعل للفظائع التى ارتكبها جنودنا مع القائد بونابرت أثناء زحفه على القاهرة فى القرى التى مروا بها؟

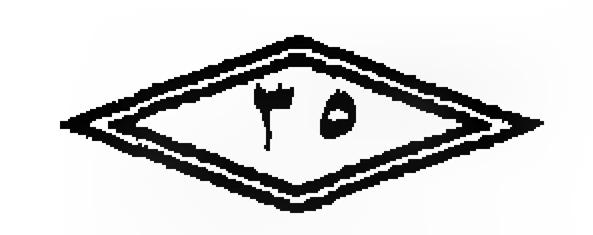
قال "ديموى":

- لا أعتقد يا سيدى الجنرال. لقد أخلوا القرى تماما وحرمونا الماء والزاد. كانوا يعرفون بحضورنا.

ينتظروننا. لم يكن هجومهم علينا وليد غضب أو انتقام، بل هجوم منظم، ولولا مدافعنا لكنا الآن جميعا فى عداد الموتى.

جمع كليبر قادة جيشه ومسئولى مخابراته، يتحاورون فى الأمر. يسألهم عن الرجل الذى يقف وراء فقدان الجيش الفرنسى لهيبته، أمام زمرة من الفلاحين المسلمين. لم يعد الأمر خافيا على الضباط الفرنسيين. أجمعت الآراء على أن محمد كريم حاكم الإسكندرية هو المحرّض الأول على إثارة الهياج والعصيان فى نفوس أهالى المدينة، وأنه لوكان مخلصا للجمهورية الفرنسية لكان فى استطاعته أن يفرض الهدوء على الأهالى.

وابتسم كليبر أمام ضباطه وقال لهم:



- عندما فرضنا سلفة مالية إجبارية على تجار الإسكندرية ليدفعونها للجيش الفرنسى، عارض محمد كريم هذه السلفة، ثم تلكأ فى الموافقة عليها أو المساعدة فى تحصيلها.

واستطرد يقول وهو يمشى ويداه خلف ظهره متشابكتان:

- إنه محمد كريم بلا شك . فهو على اتصال بنا، وعرف أخبار وتاريخ سفر الجنرال "ديموى" إلى دمنهور. هو الذى هرّب الجمال من الإسكندرية، وهو الذى نظم المقاومة ضد الفرنسيس حتى دمنهور.

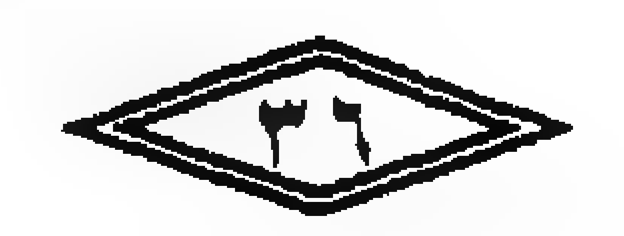
لقد حان الآن وقت القصاص منه.

نظر الضباط الجالسين إلى حاكم الإسكندرية، الذى احمرّ وجهه من الغيظ، فقال لهم:

- لقد رتب محمد كريم هجوم الأهالى فى قرية "السالمية" قرب رشيد على جنودنا وقتلوا منهم ثمانية جنود. لقد نال المسلمون فيها جزاؤهم. لقد أعدمنا كل رجال القرية وصادرنا كل المواشى بها.

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ويتحدث بصوت عال وكأنه يخاطب نفسه قائلا:

- ولاشك أن محمد كريم رتب أيضا للكمين الذى أعده المسلمون فى قرية "شباس عمير" القريبة من دسوق،



والذى أجبر جنود الجنرال "مينو" علـى العـودة إلى رشيد دون الوصول إلى بحيرة البرلس.

زعق كليبر فى أركانحربه، يأمره بإلقاء القبض على محمد كريم وقال له آمرا:

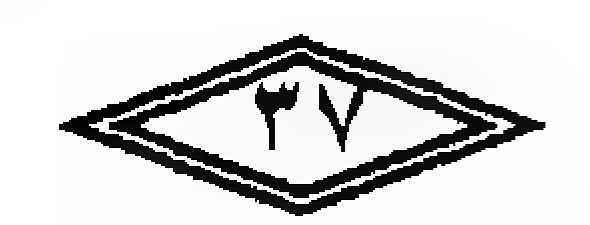
– ابعثوا به إلى أبى قير، واعتقلوه فى البارجة " الشرق" أمر كليبر أحد ضباطه بالتوجه إلى أبى قير وإخطار قائد البحرية الفرنسية بها أن يحسن معاملة محمد كريم وأن يؤدى له التحية العسكرية عند صعوده إلى البارجه.

ولاحظ كليبر نظرات التعجب على وجوه الضباط وهو يأمر بحسن معاملة محمد كريم، فابتسم لضباطه وقال الخبيث:

– لا أريد إثارة ريبته. لو أسأنا معاملته الآن لهاج الناس علينا.

جلس كليبر إلى مكتبه، خط رسالة إلى السيد محمد كريم ليتسلمها عند وصوله إلى معتقله فى الباخرة الشرق، يخبره فيها بأنه قرر إرساله إلى القاهرة لمقابلة القائد نابليون واثبات أنه يستحق الثقة التى منحها له بونابرت.

طلب كليبر من حاشيته، جمع أعيان الإسكندرية فى مكتبه، وقام بإبلاغهم خبر القبض على محمد كريم للريبة فى إخلاصه للجمهورية الفرنسية. قال لهم أنه أكرم وفادته إلى البارجة القائد، فهو يعرف مكانته عند قومه، وأنه أمر

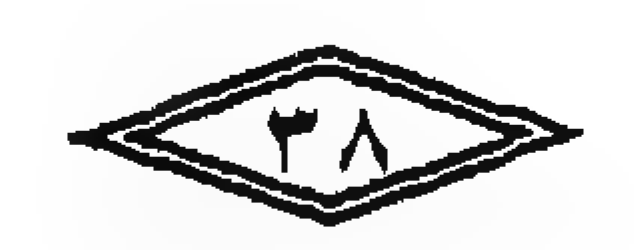


بأن تؤدى له التحية العسكرية كقائد مصرى كبير. وسألهم أن يختاروا حاكما للمدينة بدلا عنه.كان الموقف عصيبا، فكل من الحاضرين يدرك مدى حب واحترام أهل المدينة لمحمد كريم، وزاد فى حب الناس واحترامهم له، قيام الفرنسيس بالقبض عليه واعتقاله.

اتفق أعيان الإسكندرية على اختيار السيد محمد الشوربجى الغريانى، خلفا لمحمد كريم. وقد أبدى الرجل تخوفه من هياج الناس وإثارة القلاقل أمام اى خلف لمحمد كريم، لكن كليبر ظل وراء اقناعه، وطلب من الأعيان الحاضرين معاونة الغريانى فى استقرار الأمر بالإسكندرية ومساعدته فى عمله والتعهد له بذلك أمام القائد الفرنسى الخبيث.

أمر الجنرال كليبر بجرد أملاك محمد كريم بعد اعتقاله، فقامت لجنة إدارية فرنسية بجرد الأملاك فى منزله ومخازنه، فوجدوها خالية.

وأمر كليبر باعتقال عم السيد محمد كريم ويهوديا كان يعمل لدى محمد كريم قبل الغزو الفرنسى وكان موضع ثقته، لكنه أبعده عنه خوفا من تجسسه. فقد أدرك محمد كريم أن يهود الإسكندرية هم عيون أعداء المسلمين. وهدد كليبر المعتقلين بالإعدام إذا لم يبوحا بموضع أموال محمد كريم.



لم يتردد اليهودى فى إخطار الفرنسيس بأن أموال محمد كريم مخبأة فى بئر بالإسكندرية وأن مع الأموال دفتر فيه بيان أمواله وأملاكه، وأن بعض الخدم يعرفون مكانها. وتم تعذيب الخدم تعذيبا وحشيا، لكن أحدا منهم لم يبح بكلمة سوء عن سيدهم محمد كريم أو التحدث عن سر من أسراره.

قام قائد الأسطول الفرنسى بإرسال السيد محمد كريم إلى رشيد، ليقوم الجنرال "مينو" بترحيله إلى القاهرة ليمثل أمام نابليون بونابرت الذى قهر المماليك والمصريين واستولى على عاصمة مصر المحروسة. عندما وصل محمد كريم إلى رشيد، خرجت المدينة كلها تهتف بإسمه فى مظاهرة حب وإكبار بعد أن تعاظمت منزلته فى نفوس كل المصريين إثر اعتقاله بواسطة الفرنسيس.

خاف الجنرال "مينو" حاكم رشيد من تلك المظاهرات، فقام باعتقال السيد محمد كريم وبعث به وسط قوة كبيرة من الجنود إلى القاهرة. أعد "مينو" سفينة حربية أبحرت من رشيد يوم الرابع من أغسطس، فوصلت إلى القاهرة يوم ١٢ أغسطس ١٧٩٨.

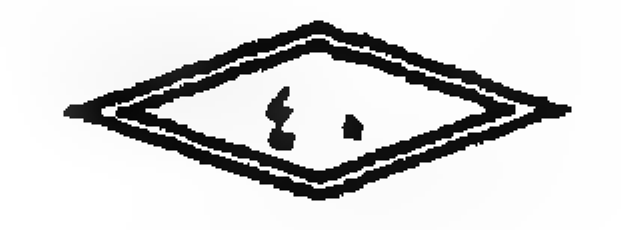
تحققت ظنون كليبر فى محمد كريم، فلقد أخلدت مدينة الإسكندرية إلى الهدوء والسكينة بعد اعتقال زعيمها محمد كريم. اختفت المظاهرات العدائية، ولم تعد هناك أخبار تنتقل من شخص إلى آخر.



وصلت إلى الإسكندرية أنباء انتصار نابليون في موقعتي "شبراخيت" ثم "امبابة" التي انهزم فيها مراد بك وجيشه من المصريين والمماليك في البر الغربي من النيل ففرّ إلى الصعيد ليعيد ترتيب جيشه. أما إبراهيم بك، فلقد آثر الخروج من مصر وهو في برّها الشرقي بعد رؤية ما حاق بجيش مراد بك، فسار بجيشه إلى "بلبيس"، وقام الأهالي الذين أفزعهم صوت المدافع وهالهم لهيب الحرائق، فحملوا متاعهم وأولادهم وخرجوا من القاهرة. وجدها نابليون مدينة مهجورة، تُركت للغازي الفرنسي.

أقام "كليبر" احتفالا كبيرا بهذا النصر ودخول القوات الفرنسية الغازية إلى عاصمة المحروسة، فنزل ذلك أسى وحسرة في قلوب المصريين، يتعجبون من هزائم المماليك المخزية رغم قوتهم وأسلحتهم، يقارنون بين صمود أهل الإسكندرية تحت زعامة محمد كريم، رغم قلة عددهم وضعف عدّتهم لثلاثة أيام، في حين لم يقاتل مراد بك وجيشه سوى لساعة واحدة ثم ولوا الأدبار.

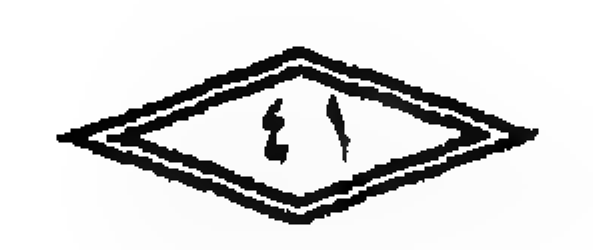
كانت السكينة التي سادت بين أهل الإسكندرية، هي انعكاس لقلقهم على مصير زعيمهم محمد كريم. فقد اعتادوا وجوده بينهم، يدفع عنهم أذى الإدارة المحتلة الغاشمة، ويمدّهم بأخبار الفرنسيس وينظم لهم كيف يضربونهم في مقتل. كان الحزن يعتصر أهل الإسكندرية وهم يرون الفرنسيس يدخلون القاهرة يوم ٢١ يوليه ١٧٩٨، في اليوم التالي لاعتقال زعيمهم محمد كريم.



وقد ارتفعت معنويات الحامية الفرنسية بالإسكندرية لانتصاراتهم، وباتت نفسيّة المصريين فى الحضيض، حزنا على زعيمهم، وهزيمة بلدهم، فانصرفوا إلى أعمالهم صابرين صاغرين، يُهرعون إلى المساجد والصلاة. والدعاء بأن ينزل الله بلاءه على الفرنسيين الظالمين.

جاء يوم الأول من أغسـطس، ورأى أهل الإسكندرية النار تندلع من خليج أبى قير ودوىّ المدافع يصم الآذان، ثم عرفوا أن الأسطول الفرنسى الذى جاء بالغزاة قد احترق وغرق، ومات الآلاف من جند نابليون فى المعركة البحرية التى دارت بين الأسطولين الإنجليزى بقيادة "نلسن"، والفرنسى بقيادة "بروليس". تبدل الحال، ارتفعت الروح المعنوية للمصريين وهم يرون الذل الذى ركب أكتاف الفرنسيين القتلة، وهوت نفسية الفرنسيين إلى الحضيض وقد تحطمت آمالهم فى وجود ناقلة تعود بهم من حيث أتوا. أيقن الفرنسيس أن أرض الكنانة أصبحت سجنا لهم، ينتظرون الموت عليها بين يوم وآخر.

على الرغم من الهدوء الظاهرى فى الإسكندرية بعد اعتقال محمد كريم، إلا أن نفوس المصريين كانت مليئة بالغضب والخوف على كبيرهم والذين لم يعودوا يعرفون أخباره منذ غادر رشيد على إحدى السفن الفرنسية فى طريقه إلى القاهرة. كان الأهالى بالإسكندرية على يقين من أن الفرنسيين سوف يحاكمون زعيمهم وكانوا لا يستبعدون



أن يقتلوه. فلقد رأوا منهم الغدر والقسوة وشهوة القتل التى تعترى كل جندى فرنسى جاء مع ذلك النابليون المتغطرس.

اتفقت أفكار المصريين على الانتقام من الفرنسيين بعيدا عن المدينة، فقرروا مهاجمة كل السفن الفرنسية التى تبحر فى النيل من رشيد إلى القاهرة، فهو أسرع الطرق للتراسل بين قيادة الفرنسيين فى القاهرة وبين حاميتها بالإسكندرية ورشيد والبحيرة.

ولما ازداد هجوم الفلاحين على السفن والمراكب الفرنسية، طلب نابليون من الأروام المقيمين فى مصر، التطوع فى كتيبة الأروام التى شكلها الفرنسيون وتكون مهمتها حماية تلك السفن، وذلك لحاجته إلى جنوده الفرنسيين فى الحملات التى يعدها لفتح باقى أقليم مصر، كان الأسطول الفرنسى يبحر من بوغاز رشيد إلى القاهرة عبر النيل فى فرع رشيد، وكان كثيرا ما تجنح سفينة منه بجوار الشاطئ، فيقوم الفلاحون بالهجوم على السفينة من الضفتين.

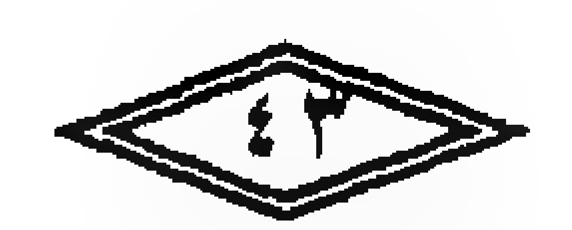
كان نابليون فى حاجة إلى الكثير من المهمات من حامية الإسكندرية، فحملها مدير مهمات الحملة الفرنسية ومعه العديد من الضباط فى إحدى السفن التى أبحرت من رشيد إلى القاهرة. وجنحت السفينة فهجم الأهالى عليها وقتلوا عددا من ركابها وجرح مدير مهمات الحملة جرحا بليغا.

وفى أوائل شهر سبتمبر ١٧٩٨، وقد بدأ القلق يسيطر على أهل الإسكندرية، خوفا على مصير زعيمهم محمد

كريم، شدّد المصريون من انتقامهم من الفرنسيين فى النيل، فهجموا على إحدى المراكب الفرنسية قرب كوم حماده، وقتلوا كل من بها من ضباط وجود بلغ عددهم خمسة عشر جندى فرنسى، على رأسهم، ياور بونابرت الكابتن "جوليان". استشاط نابليون غضبا لتلك الحادثة، فأمر بتجريد حملة إلى قرية " علقام " التى خرج منها المصريون وقتلوا ركاب السفينة الفرنسية، فحرقت الحملة القرية حتى ساوت بيوتها بالأرض وقتلت كل من رأته أمامها من الفلاحين، رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا، وسرقت كل ما فى القرية من مواشى وطعام.

ومنذ تلك الحادثة، شكل بونابرت ثلاثة أساطيل فرنسية من المراكب الصغيرة المسلحة بالمدافع، لتجوب مجرى فرعى النيل رشيد ودمياط ويتولى الثالث حماية القاهرة ومركزه فى إمبابة، لحماية السفن الفرنسية التى تبحر فى النيل بين رشيد والقاهرة وبين دمياط والقاهرة. حاول الفرنسيون بكل وسائل الإغراء، دفع البحارة المصريين للعمل على تلك السفن فكانوا يقابلون بالرفض القاطع.

* * *



6

كانت النشوة تملأ صدر نابليون بونابرت وهو يدخل قصر مراد بك فى الجيزة، ويعلنه مقرا مؤقتا للقائد الذى لم يهزم. أمر بونابرت جنوده بتفتيش القصر وحصر ما به من تحف وأوراق وغيرها. جئ له بالخطابات التى بعث بها السيد محمد كريم ، يستغيث فيها بمراد بك لكى يمده بالذخائر للمقاومة، وتلك التى يخبره فيها بتحركات الفرنسيس وتفاصيل الجيش الفرنسى وعدد المدافع وغيره من المعلومات العسكرية. وخطابات حول ما حققته المقاومة المصرية فى الإسكندرية.

قال نابليون:

- ذلك الخائن الذى أبقيته فى منصبه. لقد خان الجمهورية الفرنسية ولابد أن يعدم وأن يمثل بجثته ليكون عبرة لكل مسلم هنا، قد تسول له نفسه أن يخون فرنسا.

ورفع الفرنسى المغرور قبضته فى الهواء.وهو يقول:

- لقد جئنا هنا لنبقى. لنكون إمبراطورية الشرق. لن يمنعنا هؤلاء الفلاحين المسلمين من تحقيق حلمنا الذى جئنا من أجله.

وارتفعت صيحات الإعجاب من الضباط المحيطين بكبيرهم المغرور، وصفقوا له، رافعين الأنخاب تحية له، هاتفين بحياة فرنسا العظيمة، من وجهة نظرهما!.

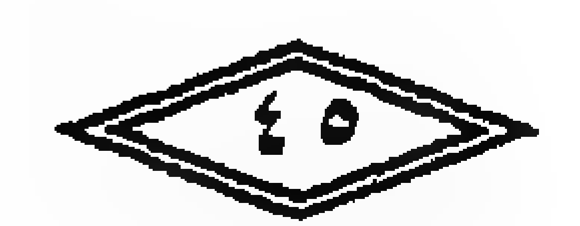
نظر بونابرت إلى الجنرال "ديبوى" وقال له:

- سوف يرسلون محمد كريم إلى القاهرة معتقلا. ارموه فى السجن وحاكموه، وأعدموه رميا بالرصاص، ثم يطاف برأسه فى القاهرة ليكون عبرة. لقد عينتك كقاضى التحقيق معه.

ورفع الضابط الفرنسى يده بالتحية إلى قائده، والابتسامة تملأ وجهه القبيح، تفضح الغلّ الذى يعتمل فى قلبه وقلب كل فرنسى جاء مع نابليون ليقتل فى المصريين كيف شاء.

وصل السيد محمد كريم إلى القاهرة يوم ١٢ أغسطس على السفينة الفرنسية، فاقتاده الجند الفرنسيين إلى السجن رأسا فى حراسة مشددة تسير حوله شاكين السلاح والأعلام الفرنسية، فى انتظار محاكمته، لم يفقد الرجل العظيم رباطة جأشه، فقد كان إيمانه بالله فوق قدرة الفهم لغير المؤمنين ممن حوله من الفرنسيين.

كان ذو هيبة ووقار، وقد ملأ الشيب شعر رأسه وذقنه وشاربه الكث الملتصق بلحيته، وكانت عمامته البيضاء تزيده هيبة ووقارا، فوق الوقار الذى حباه به الله عز وجل. كيفما كان عقله يعمل ويفكر فى بلده وما حلّ بها من دمار



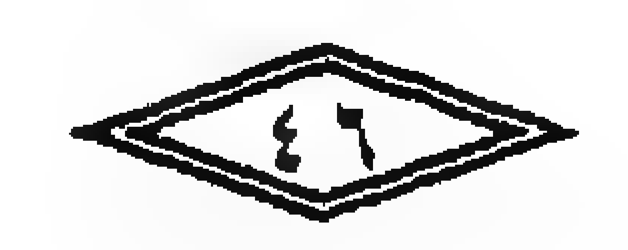
على يد الفرنسيين، فإن سماحة وجهه تخفى كل آثار الفكر والقلق، وتبعث عدوه قبل صديقه إلى احترامه وتقديره.

دخل محمد كريم إلى السجن ثابت الخطى، يمشى فى تؤده ووقار كعادته وجلس على المقعد الموجود بالزنزانة، لا يلتفت إلى سجّانيه.

مضت الأيام على محمد كريم فى سجنه، يؤدى صلواته بانتظام ويقرأ فى قرآنه، يستزيد به إيمانا فوق إيمان، وصبرا فوق صبر، يشعر بأنه أدى واجبه تجاه دينه وتجاه وطنه وأبناء بلده. فعل كل ما فى وسعه لمقاومة الغزاة حربا وسياسة، صابرا فى كل الأمور. لا يعرف ماذا يجرى حوله، فليس هناك من يتحدث إليه أو ينقل إليه أخبار أهل بلده. كل ما حوله جنود اغتصبوا أرض بلده ووطنه، ونصبوا أنفسهم سادة لهذا الشعب المصرى العظيم.

ويلعن محمد كريم العثمانين الذين أحالوا مصر إلى ولاية عثمانية تمتص الثروات ويقدمها لهم المصريون كارهين. ويلعن المماليك الذين جلبهم العثمانيون إلى هذه الأرض الطيبة فجاسوا فيها ظلما وعدوانا، وأصبحت مصر مرتعا لكل طامع. يخاطب نفسه قائلا:

- كانوا السبب فيما وصلت إليه بلدى.



ويتذكر الحامية العثمانية التى وقفت تشاهد مذابح الفرنسيين فى أهل الإسكندرية، دون أن تتحرك أو تدافع عن المصريين، فقال يحدث نفسه:

- لعنة الله علـى العثمانين. خـرّبوا ديارنا ثم أهـدوها للفرنجة. اللهـم انتقم لنا منهم، ودمّن أهان تراب هذا البلد الكريم يا رب.

دخل ضابط فرنسى سجن محمد كريم وقال له بالفرنسية، وترجم له "فانتور" كبير تراجمه الحملة الفرنسية:

- هل تتفضل معنا لحضور المحاكمة.

قال السيد محمد كريم:

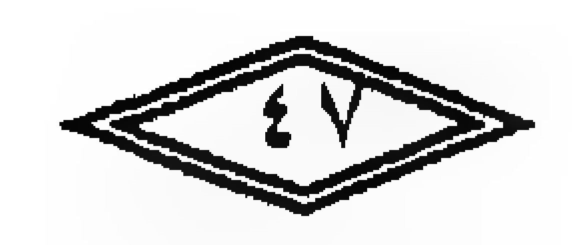
- أى محاكمة؟ وبأى تهـمة تحاكموننى؟ هـل أحاكم لأننى مصرى وانتم من الفرنسسين الفرنجة؟

قال الفرنسى بغطرسة:

- أنك متهم بخيانة الجمهورية الفرنسية.

قال محمد كريم:

- الحمد لله اننى أحاكم بهـذه التهمة. كنـت أخشى أن تحاكموننى بتهمة خيانة مصر بلدى.



قام السيد محمد كريم، ومشى مرفوع الهامة خارجا من زنزانته ووراءه الضباط والمترجم، وخلفهم ثلة من الجنود شاكى السلاح يسيرون فى خطوات عسكرية، يدقون الأرض بأحذيتهم، ومحمد كريم لا يخفى ابتسامته وهو سائر فى تمهل، يُجبر الجند على البطء فى السير واختلال ضربات كعوب أحذيتهم، وكأنه يقول لنفسه أنه لابد أن يسبب للفرنسيس ارتباكا فى كل شئ، حتى فى سيرهم.

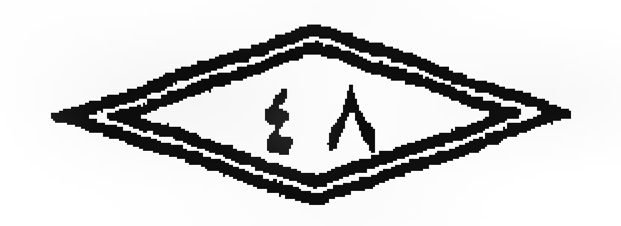
فتح باب إحدى قاعات، ورأى محمد كريم أمامه عددا من الضباط الفرنسيين يجلسون وراء طاولة كبيرة وأمامهم مقعد، اتجه أليه ثم جلس فوقه. جاء كبير المترجمين فوقف إلى جواره.

سأله الجنرال "ديبوى" الذى عينه بونابرت حاكما عسكريا للقاهرة، وكلفه بمحاكمة السيد محمد كريم:

- هل أنت محمد كريم؟

فابتسم الشيخ الوقور وقال:

- إننى سجين لديكم منذ العشرين من شهر يوليه. نقلت إلى السفينة الشرق ثم إلى رشيد ثم سجنت فى سفينة جاءت بى إلى القاهرة يوم ١٢ أغسطس، واليوم أعتقد أنه الخامس من سبتمبر. كل هذه الأيام فى سجونكم، ثم تسألنى هل أنا محمد كريم؟ نعم. أنا محمد كريم المصرى من أهل الإسكندرية الذى اعتقلتموه وسجنتموه.



لم يستطيع الضباط الفرنسى أن يقطع حديث محمد كريم، فقال وهو غير قادر على النظر فى عينيه:

- إنك متهم بالعداء للجمهورية الفرنسية.

رد محمد كريم:

- لقد جئتم بدون دعوة واغتصبتم أرضنا. ماذا تنتظرون منا؟

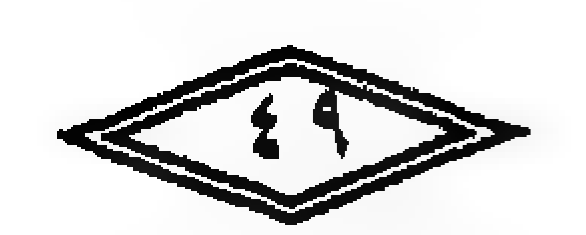
قال الفرنسى بتبجح:

- لقد جئنا إلى مصر لكى نعلمكم ونخلصكم من المماليك. إن الثقافة الفرنسية سوف تجعل مصر أكثر تحضرا. إن الجهل الذى تعيشون فيه سوف يتغير بعد حضورنا. إننا دعاة العلم والثقافة.

عندما انتهى المترجم من نقل حديث الفرنسى إلى السيد محمد كريم، ضحك زعيم الإسكندرية عاليا وقال:

- أتقارن حضارتكم بحضارتنا يا رجل؟ إننا أمة كانت

فوق كل الأمم. كنا ندرس الفلك والحساب وأنتم لازلتم تعيشون فى الكهوف. من أنتم لكى تعلموننا الحضارة، ومصر هى مهدها الذى أخذت منه كل الأمم. هل رأيت الأهرام وأنت آت إلى هنا؟ إنها شاهد على حضارة مصر منذ آلاف السنين. أين انتم من موكب الحضارة المصرية؟



أحس الفرنسى بأنه انزلق إلى طريق ما كان يجب أن يضرب فيه، فقال وهو يقرأ:

- إنك متهم بمراسلة مراد بك وغيره من المماليك وكذلك العرب فى منطقة البحيرة. هذه هى رسائلك إليهم تخبرهم بمعلومات عسكرية سرية عن الجيش الفرنسي وتحرضهم على قتال جنود الجمهورية الفرنسية.

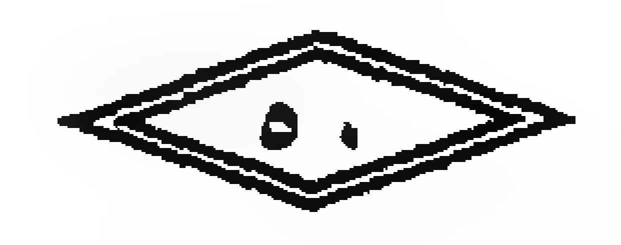
قال محمد كريم:

- إن ما تدعونه من خيانة للفرنسيين، هى وطنية مصرية. هل تظن أننى، أو أن أى مصرى يرضى باغتصاب أرضه؟ إن ديننا يحضنا على قتال كل من يحاول أن يغتصب عرضنا أو أرضنا أو مالنا. لقد جئتم بالمدافع تحصدون أرواح المصريين بلا رحمة ولا شفقة. ماذا تنتظرون منا؟ نعم أراسل كل من رأيت أنه يمكن أن يساعدنا ضدكم.

سأله الفرنسى إن كان لديه ما يضيفه. فقال السيد محمد كريم:

- إن كانت تهمتى هى خيانتكم، فإن ذلك شرف لى اعترفتم به أنتم.

وصدر الحكم على السيد محمد كريم بالإعدام رميا بالرصاص ومصادرة أملاكه. وقال له "ديبوى":



- تستطيع أن تفتدى حياتك إذا دفعت غرامة قدرها ثلاثين ألف ريال، خلال أربع وعشرين ساعة من الآن، تنتهى ظهيرة الغد السادس من سبتمبر ١٧٩٨.

رفض محمد كريم ذلك العرض قائلا:

- لا افتدى نفسى أبدا بالمال ولو كنت أملكه.

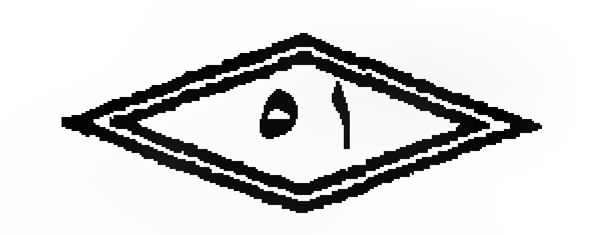
سارع إليه "فانتور" كبير المترجمين وقال له:

- إنك رجل غنىّ فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ يا سيد كريم؟

أجابه السيد محمد كريم:

- إذا كان مقدورا علىّ أن أموت، فلن يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ. وإذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه؟

جاءت ظهيرة يوم السادس من سبتمبر عام ١٧٩٨، وسيق السجين من زنزانته حتى باب السجن، ثم أركب الفرنسيس السيد محمد كريم حمارا، وأحاط به عدد من الجند، بأيديهم السيوف المسلولة، ويقدمهم طبل يضربون عليه، وساروا به حتى حىّ "الصليبه"، ثم إلى حىّ "الرميلة"، وهناك أنزلوه، وكتفوه ثم ربطوه، وضربوا عليه بالبنادق فسقط محمد كريم، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها. شهيد من شهداء مصر كافح الطغيان الذى ركب أرض الكنانة.



قام الجنود الفرنسيين، بقطع رأس السيد محمد كريم وثبتوها فوق رمح فرنسى، وطافوا بها فى جهة "الرميلة" وأمامهم مناديا يقول بصوت عال:

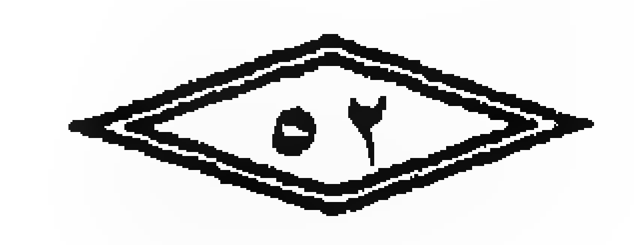
- هذا جزاء من يخالف الفرنسيين.

لم يمر إعدام السيد محمد كريم، والتمثيل بجثته بقطع رأسه والطواف بها فى الطرقات بالقاهرة، بسهولة أو بلا مبالاة من الشعب المصرى. لقد انعكس ذلك على نفسية الشعب فى القاهرة وهم يدركون مكانة هذا الرجل الوطنى الذى قاوم ببسالة مع شعب الإسكندرية الغزو الفرنسى.

يدركون أن دماءه من تراب مصر، لم يفرّ كالمماليك، بل قاوم حتى آخر طلقة فى بندقيته وسلّم بشرف، وقاد المقاومة الشعبية فى الإسكندرية تحت رداء مركزه كحاكم للمدينة، يُظهر التعاون مع الفرنسيس ويبطن قيادته للمقاومة، بتحويل إقامة الفرنسيس هناك إلى جهنم.

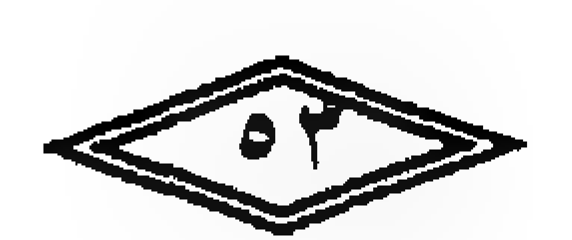
قاطع المصريون كل الاحتفالات التى حاول نابليون التودد بها إلى شعب مصر بعد تلك الحادثة، ولم تمض سوى أيام قليلة حتى انطلقت تلك الثورة الكامنة فى صدور المصريين تحيل القاهرة إلى أتون من الثورة ومقاتلة الغازين الفرنسيين.

كانت وحشية بونابرت وجنده فى إخماد تلك الثورة مضرب الأمثال فى كل العصور، جاء إلى مصر يعلن



احترامه للمسلمين ولدينهم، فدخل الأزهر بخيله وجاس خلاله واتخذه مكانا لخيله وجنده ونهب ما به من ثروات وأمهات الكتب الإسلامية، التى استولى عليها اليهود من الأزهر الشريف، بعد أن ضرب القاهرة بمدافعه فهدمها.

* * *





نظر الأستاذ إلى تلاميذه. وجد الوجوه وقد امتلأت بالدموع، يترحّمون على شهيد الإسكندرية محمد كريم. قال لتلاميذه:

- هذه هى قصة شهيد الإسكندرية محمد كريم، الذى حارب الفرنسيين الغزاة، والذى سيق إلى الموت والتمثيل بجثته دون أن يخالجه الشك فى أن الشهادة هى أسمى آيات الوطنية.

سأله تلميذ بعد فترة بقول:

- وما الذى حدث من الفرنسيين عندما دخلوا القاهرة يا أستاذ؟

ابتسم أستاذ التاريخ ابتسامة ممزوجة بمرارة شديدة، انعكست على وجهه وقال:

- لقد سبّبوا الأهوال والخراب لأهل مصر.

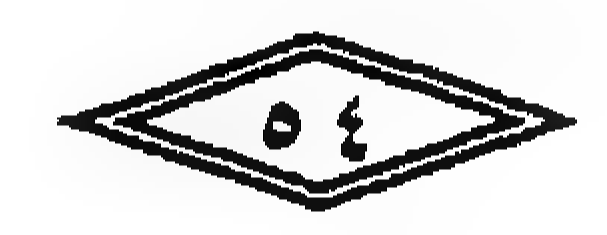
قال التلميذ:

- نريد أن نعرف هذا الجزء من تاريخ بلدنا يا أستاذ.

رد الأستاذ يقول:

- سوف نفرد لهذا الأمر موعدا آخرا إن شاء الله.

* * *

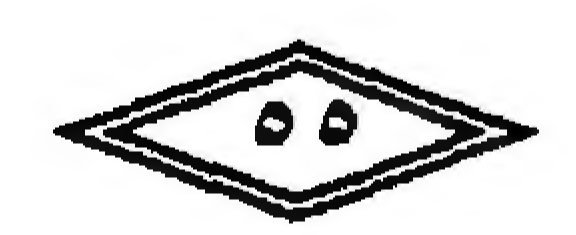


المــراجــع

(١) المرجع التاريخى لهذا الكتاب أســاسه كتاب **(تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) للمؤرخ المصرى الكبير: عبد الرحمن الرافعى.**

ومؤرخنا العظيم عبد الرحمن الرافعي يستند فى كتابه على ما كتبه مؤرخ مصر الكبير عبد الرحمن الجبرتى ليبيّن وجهة النظر المصرية فيما جرى من أحداث فى تلك الفترة، لكنه يؤكد أو يتحفظ على بعض ما جاء به بعد رجوعه إلى المصادر الفرنسية التى أوردت تفاصيل كثيرة عن القتال وما دار بين الفرنسيين وبين المصريين من معارك ومناوشات، وخاصة عند احتلال الإسكندرية وما جرى فيها،حيث أن الجبرتى كان يعيش فى القاهرة ويذكر ما تواتر من أنباء القتال فى الإسكندرية.

إحدى صفات المؤرخ الموثوق والتى يجب أن تتوافر فى سرد التاريخ، الاعتماد على التوثيق والحيدة فى السرد. هذا هو ما فعله مؤرخنا العظيم عبد الرحمن الرافعى، اقتداء بمؤرخنا الكبير عبد الرحمن الجبرتى، وهذان المؤرخان هما بحق من مفخرة مصر فى عالم التاريخ. رحمهما الله رحمة واسعة.

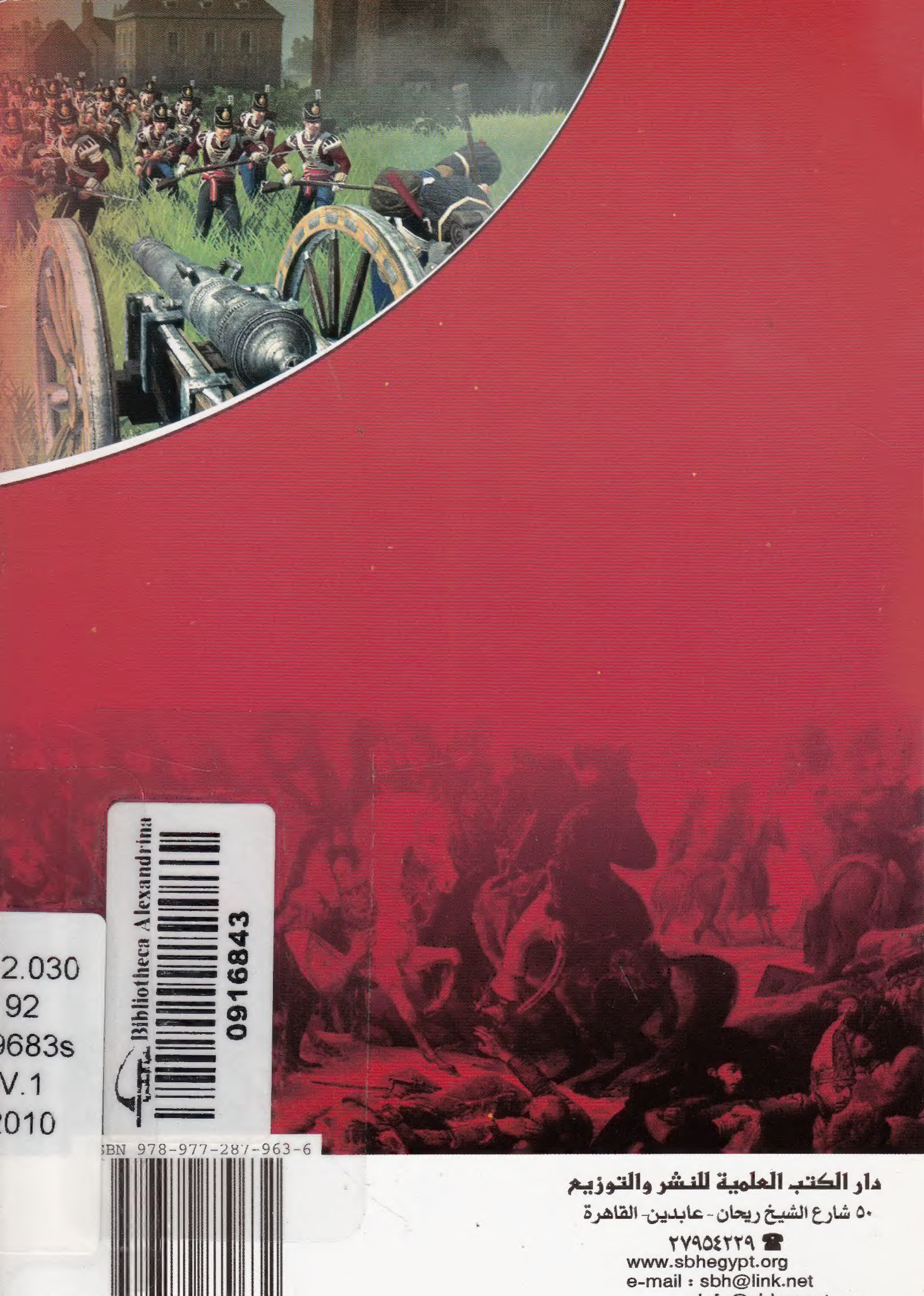


(٢) استعنت عند وضع هذا الكتاب، بالمرجع المصرى الذى يعكس إحساس المصرى بالأحداث، (**تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار**) **للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى**، وذلك لاستنباط الروح المصرية الخالصة فيما جرى، دون التأثر بما ذكره الفرنسيون فى وثائقهم التى أوردها عبد الرحمن الرافعى لتوثيق تاريخه لتلك الفترة. وتلك الأحاسيس المصرية لم يغفلها عبد الرحمن الرافعى أبدا فى كتابه، لكنه حاول ألا ينفعل بها مراعاة لمبدأ الحيدة فى سرد التاريخ، مهما تألم الكاتب وهو يؤرخ لبلده.

(٣) وكان مصدرى الثالث فى وضع هذا الكتاب هو كتاب (**وصف مصر**) **الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية وترجمة: زهير الشايب**. وهو تفاصيل دقيقة عن مختلف أوجه الحياة فى مصر من وجهة نظر الفرنسيين العلماء الذين حشدهم نابليون بونابرت معه فى غزوته لمصر.

والله ولى التوفيق،

* * *



Bibliotheca Alexandrina
0916843
2.030
92
9683s
V.1
2010

ISBN 978-977-287-963-6
9 789772 879636

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع
٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين- القاهرة
☎ ٢٧٩٥٤٢٣٩
www.sbhegypt.org
e-mail : sbh@link.net
: Info@sbhegypt.org